الحلقة (١٧)

المصادر: جمع مصدر، وقد فرق بعض أصحاب مناهج البحث بين المصدر والمرجع، فرأوا أن المصدر يعني شيئاً وأن المرجع شيئاً آخر.

ومما قيل في تعريف المصدر بأنه: أقدم ما يحوي مادة عن موضوع ما، أي أنه الكتاب أو المصدر الذي هو أصلٌ في بابه، **وأيضاً عرف بأنه** الوثائق والدراسات الأولى منقولة بالرواية أو مكتوبة بيد المؤلفين الثقات الذين أسهموا في تطور العلم أو عاشوا الأحداث والوقائع أو كانوا طرفا مباشراً فيها، أو كانوا هم الواسطة الرئيسة لنقل العلوم والمعارف السابقة للأجيال اللاحقة.

إذن إما أن تكون الوثائق نفسها أو الوثائق التي كتبها من شهد هذه الأحداث أو عاشها أو أن تكون تلك الوثائق التي نقلها آخرون اعتبروا هم الواسطة لولا وجودهم لضاعت تلك المعلومات.

قيل ومما يعتبر في هذا القسم سجلات الدواوين الحكومية وما ينشره الكتاب بأقلامهم في الدوريات العلمية والصحف والمجلات وغيره.

ما المصدر؟ وما المرجع؟ لو كنا نريد أن ندرس شخصية ما، **المصادر هي تراث هذا الشخصية**، يعنى ما كتبه هذا الشخص سواء من سيرة ذاتية أو مؤلفات يعتبر في حال دراسة الشخصية هو المصدر، **وما كُتِب عنه يعتبر هو المرجع.**

وقد يراد **بالمصدر الكتب التي يفيد منها بشكل أساس، والمرجع ما يفيد منها بشكل ثانوي**، مثلاً: إنسان أراد أن يبحث في الفقه، فرجع إلى كتب الفقه في بحثه فتعتبر هذه مصادر، ورجع إلى معاجم لغوية ورجع إلى كتب التراجم فهذه تعتبر مراجع، وتلك تعتبر مصادر.

وقد عُرِّف المرجع بأنه كتب يرجع إليها بقصد الحصول على معلومات وحقائق محددة وتكون في الغالب مرتبة بطريقة تيسر الحصول على المعلومات، هي في ما يبدو أن المسألة فيها نوع من الاجتهاد في تحديد المصدر والمرجع، لكن في كل الأحوال **نلاحظ أن المصدر** له اتصال مباشر أو أساس في البحث، سواء كان أساسا في الفن أو كان أساساً في دراسة الشخصية أو كان أساساً في معالجة الموضوع، فلذلك عُرف بأنه **كل كتاب تناول موضوعاً وعالجه معالجة شاملة وعميقة، أو هو كل كتاب يبحث في علم من العلوم على وجه الشمول والتعمق بحيث يصبح أصلاً لا يمكن أن يستغنى عنه.**

مثلاً: كتاب المغني في الفقه، درس الفقه دراسة شاملة ومحيطة فأصبح أساساً في هذا العلم، لا يستغني عنه أصحاب الفكر الفقهي، فيعتبر مصدراً في الفقه، بعكس كتاب كتب في جانب من جوانب الفقه فإنه يعتبر مرجع، **فنلحظ أن المصدر** ينحى منحى الأساس أو الأصل، **والمرجع** ينحى منحى الشيء الثانوي أو المكمل أو الذي ليس أصلا في بابه.

<u>في عصرنا هذا لم تعد الكتب هي المصدر الوحيد</u>، أصبحنا نتكلم عن أوعية معرفة، أوعية لخزن المعرفة وهذه المعرفة تتعدد وتختلف، مثل المجلة والصحيفة والشريط والقرص المدمج وشبكة الإنترنت وقواعد البيانات والحواسيب والفضائيات والإذاعات المسموعة.

لكن إذا جئنا إلى الكتب **<u>نجد أن المصادر من هذه الناحية و المراجع من هذه الناحية أنواع</u>**: **منها كتب تدل على الكتب**، أي كتب وضعت لتدل على الكتب سواء الكتب المخطوطة مثل كتاب "تاريخ التراث العربي" لفؤاد سسكين و"تاريخ الأدب العربي" لكارل بروكيلمان ونحوها، مثل فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق ومثل فهرس المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام، ومثل فهارس عن الرسائل العلمية، أو عن مطبوعات حكومية، وهكذا تتنوع وتتعدد فهي كتب وإنما تدل على كتب، بمعنى أنها تتضمن فهارس لهذه الكتب الموجودة، وترشد إليها.

هناك من الأنواع: **الدوريات** سواء كانت مجلات محكمة تصدر دورياً، أو أي شيء يصدر دورياً حتى ولو لم يكن مجلات، قد تكون أدلة تصدر بشكل دوري، قد تكون كشافات تحليلية للصحف ونحو ذلك.

هناك **كتب عن الكلمات** مثل القواميس والمعاجم، وهي تبين معاني الكلمات من الناحية اللغوية، منها الموسع مثل تاج العروس، لسان العرب، ومنها الضيق مثل مختار الصحاح، مجمع اللغة العربية أصدر المعجم الكبير والأوسط والصغير، وميزة المعجم الذي أصدره مجمع اللغة العربية أنه أدخل فيه الكلمات المحدثة والمولدة، ومعنى المولدة هي الكلمات التي استخدمها الناس بعد دخول اللسان العربي الألسن الأخرى، وليست سماعاً من العرب، ويشير إلى كل كلمة برمز (م و) يعني مولدة و (م ح) أي محدثة، وأدخلت كثير من الكلمات الحديثة في هذه المعاجم التي أصدرها مجمع اللغة العربية.

ولكن الكتب التي عن الكلمات أوسع من كتب المعاجم اللغوية، لأن لدينا معاجم في مختلف الفنون، وفي العلوم الاجتماعي ومعاجم فلسفية ومعاجم للقانون وللفقه ومصطلحات الفقه وأصول الفقه ومصطلحات علم النفس والتاريخ، وهذه عبارة عن معاجم لكنها معاجم لعلوم وليست عن كلمات لغوية فقط.

كذلك هناك **كتب متخصصة عن الأماكن** مثل الأطالس والقواميس الجغرافية، كقاموس معجم البلدان لياقوت الحموي.

هناك **كتب عن الأشخاص** مثل التراجم، مثلاً سير أعلام النبلاء للذهبي، تاريخ الحضارة الإسلامية، تهذيب التهذيب، ونحوه، لسان الميزان، وميزان الاعتدال، كلها كتب في أسماء الرجال وسيرهم.

هناك أيضاً من الكتب عن الناس **كتب السير الذاتية** بعضهم يكتب لنفسه سيرة ذاتية.

كذلك **الموسوعات ودوائر المعارف**، هذه الموسوعات تحتوي معلومات عامة، تجد فيها تحت هذه القواميس قد ضمت معارف متنوعة ومتعددة وتأتي على شكل مواد، مثل دائرة معارف القرن

العشرين ومثل الموسوعة العربية الميسرة و ونحوها، كذلك مثل الموسوعة العربية الإسلامية، وموسوعة دائرة المعارف الإسلامية وقد أخرجها مستشرقون بريطانيون وترجمت ترجمة جزئية أي ترجم جزء منها وعليها تعليقات ترجمت في مصر، ثم أُعيدت ترجمتها ولكن بشكل مختصر وطبعت هذه المختصرة كاملة، أما الأولى لم يطبع منها سوى ستة عشر جزءاً، هذه دوائر المعارف أيضاً تسمى مراجع المراجع، وتسمى بذلك لأن الباحثين الذين كتبوا فيها إذا كتبوا فيها عن فلان عن ابن حنبل مثلاً بعد أن ينتهوا من هذه الشخصية يضع تحت المادة المراجع عن الشخصية، فأنت لكي تستفيد من هذه مراجع المراجع ترجع إلى ترجمة العلم وسيدلك على مراجع حول هذا العلم أو الفن أو المصطلح، لأن موسوعة دائرة المعارف الإسلامية البريطانية هذه احتوت على أشياء كثيرة، على مذاهب وعلى أشخاص وعلى علوم ومصطلحات وعلى موضوعات كثيرة لأنها مختصة بالحضارة الإسلامية.

هناك **كتب عن الحضارات والتطور الحضاري**، مثل قصة الحضارة لولبيرانت، هذه قصة الحضارة حاول أن يستعرض فيها حضارات البشرية، كذلك كتاب دراسة التاريخ لتوينبي ومثل تاريخ العلم ونحو ذلك من الكتب التي تعنى بالجانب الحضاري التطوري للإنسان.

هناك مراجع للموضوعات المتخصصة بحسب ما يعرض في المكتبة وقد سبقت الإشارة إلى التصنيف العشري الذي تجري عليه معظم المكتبات وتفرع منه العلوم، فإذا أراد الإنسان أن يبحث عن شيء عن الإسلام مثلاً يذهب إلى الديانات ثم إلى الدين ثم يبحث في الإسلام وما يندرج تحته من علوم، لكن البحث في المكتبات تيسر كثيراً بحيث أصبح الباحث يستفيد من المكتبات عن طريق العرض الموجود في قواعد البيانات في الحاسب الآلي، يُدخِل أي كلمة يريد أن يبحث عنها في أي مجال فيجدها بسهولة.

بالنسبة للمصادر الإسلامية، الحقيقة أن الأمة الإسلامية اعتنت بالمعرفة وبالكتابة وبتأسيس العلوم وذلك لأن الوحي لما تنزل كان لا بد من وجود علوم تخدم هذا الوحي، وقلت إن العلوم بعضها مُوَثِّقة وبعضها شارحة وبعضها مُعِينة على الفهم، مثلاً نشأت العلوم الإسلامية والعلوم العربية لخدمة هذا النص العظيم حتى يتيسر فهمه ويعرفه الناس ويطبقونه ويعيشونه في حياتهم.

المصادر أو ما يسمى مدونات المصادر الإسلامية عملت بعدة طرق ونعني بها الكتب التي تعنى بالحديث عن العلوم وعن الكتب التي كتبت في هذه العلوم، لذلك اختلفت طرق المؤلفين:

منهم من يجعل اسم العلم هو الأساس ويدرج تحته ما كُتب في هذا العلم من أسماء المؤلفين وكتاباتهم ونحو ذلك وممن سلك هذا المسلك فهرس العلوم لابن النديم، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبري زادة، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكيلمان، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، فطريقة هؤلاء المؤلفين أنهم يذكرون العلم ويتكلمون عنه ثم يبينون ما خدمه من مؤلفات.

من المؤلفين من آثر ترتيب أسماء الكتب حسب ترتيب حروف الهجاء، ويذكر الكتاب واسم مؤلفه

بحسب الفن الذي هو فيه، مثل كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل باشا البغدادي.

طريقة ثالثة للمؤلفين في المصادر أنهم اتخذوا أسماء المؤلفين أي عكس الطريقة السابقة التي هي كانت تبدأ بأسماء الكتب، هؤلاء يبدؤون بأسماء المؤلفين ويبدؤون بالكلام عن حياة المؤلف ثم تسرد المصادر والمؤلفات المنسوبة إليه تحت اسمه، من هذه الكتب: معجم المصنفين لنظام شاه آصف، وكتاب هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة.

الطريقة الرابعة: عرض المصادر التي في تخصص معين، فجعل لدراسة مصادر علم بعينه، وهؤلاء متخصصون في فن، نجد أن كتبهم لا تحوي فنونا عدة لكنها تكون في فن واحد، مثلاً: التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي، والرسالة المستطرفة لمحمد جعفر الكتاني، والحديث والمحدثون لمحمد أبو زهو.

هذه مجموعة من مصادر المصادر أي كتب تتكلم على المصادر، واختلفت طرق المؤلفين في استعراض هذه المؤلفات أو استعراض هذه الفنون، ولكنهم جمعوا فيها خيراً كثيرا، وربما من الأيسر لمن أراد أن يبحث في التفسير وحده أو الحديث وحده أن يذهب للذين نهجوا منهج الحديث عن الفن، لأن ذلك سيكون أعمق وأجود وأكثر فائدة، لكن لا يعنى أنه لن يستفيد من الآخرين الذين كتبوا عن الفنون بشكل عام، بل سيستفيد ذكر مصادر ومراجع، **ولذلك ينصح من أراد أن يبحث في تخصص معين أن يلجأ أولاً إلى الذين تخصصوا في الفن، ثم بعد ذلك إلى المؤلفات الأخرى.**

مثال هذه الكتب:

١- **إحصاء العلوم للفارابي،** قسم الفارابي العلوم في هذا الكتاب إلى ثمان مجموعات، درسها في خمسة فصول، وعرض لكل مجموعة منها، فذكر فروعها وموضوع كل فرع وأغراضه ووجوه الانتفاع به وما يتبع ذلك، مثال لذلك: أحدها مجموعة علوم اللسان، ثم علم المنطق بجميع فروعه،... وسار في هذه العلوم بهذا الشكل، كل علم وما يندرج تحته من علوم وتفصيلات.

٢ – **الفهرس لابن النديم لأخبار العلماء والمصنفين من القدماء والمحدثين** وأسماء ما صنفوه من الكتب هذا توفي سنة ٣٨٥ أي ترجم للعلم أو الفن ومن خلاله ينفذ إلى التعريف بعلماء، كل علم من هذه العلوم وكل مؤلف في موضوعه، ويحاول استيعاب جميع الكتب التي في زمانه، قسم كتابه إلى عشر مقالات، وكل مقالة اشتملت على العديد من العلوم، مثال عليه المقالة الأولى تحتوى على ثلاثة فنون: وصف اللغات، أسماء الشرائع المنزلة، نعت الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأسماء الكتب المصنفة في علومه، ويلاحظ أن المقالة قد لا يظهر فيها رابط واضح بأنها ليست فن قائم بذاته مثل ما كان الفارابي يصنع، الفارابي مثلاً يقول: علوم اللسان

ولا يدخل معها شيء آخر ليس منها، علم المنطق وهكذا، هنا نجد أن المقالة الأولى احتوت على ثلاثة أمور أقرب لثلاث تخصصات.

المقالة الثانية وهي ثلاثة فنون في النحويين واللغويين وأسماء كتبهم، وهكذا كل مقالة ليست في علم معين، وإنما تحوي مجموعة فنون يكون بينها نوع من التقارب، مثلاً الثالثة ثلاثة فنون في الأخبار والآداب والسير والأنساب وأسماء المؤلفين فيها، الرابعة في أخبار العلماء وأسماء من صنفوهم والشعر والشعراء.

نلاحظ أحياناً أن المقالة الواحدة في فن معين كما في الثالثة والرابعة، لكن بعضها قد يكون فيها أكثر من فن.

مثلاً في الخامسة فن واحد هو الكلام والمتكلمين، السادسة ثمانية فنون: في الفقه والفقهاء والمحدثين وأسماء ما صنفوه، فهكذا إذن لا يسير على نمط واحد.

هنا نعطي مثال آخر ٣- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم** ذكر في أوله فضيلة العلم والتعليم أي مقدمة عن العلم، ثم ذكر العلوم المتعلقة بالألفاظ وأسماء الكتب المدونة فيها وتراجم المصنفين والشعراء ونحو ذلك، وفي الدوحة الثالثة لأنه يذكر دوحات الدوحة الأولى مقدمة عن العلم، ثم عن العلوم المتعلقة بالألفاظ وأسماء الكتب المدونة فيها وتراجم المصنفين والشعراء ثم عن علم المنطق وهكذا وسار بهذا الشكل، وهكذا تأتي هذه الكتب.

ومن ضمنها ٤- **كتاب الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة** تأليف محمد بن جعفر الكتاني متوفي متأخراً ١٣٤٥ هـ يُعتبر الكتاب متخصص في علم الحديث فقط، ولم يتطرق إلى علوم أخرى، ومعروف أن علوم الحديث علوم متعددة، ويقول وقد أتى على حصر معظم الكتب المؤلفة في أربعة وخمسين فناً من علم الحديث، ليس هذا فحسب بل ضمن هذا التأليف شرحاً وتحليلاً لمصطلحات المحدثين في تسمية الفنون الحديثية، ليجعل القارئ على معرفة تامة بالمقصود بها لدى المحدثين، والكتاب نادر في موضوعه مفيد فيما تناوله.